الدور السياسي لأبي الحسن الشاذلي في مصر
(642هـ- 656هـ/1244 م-1258م)

إعداد

أ. لبني محمود السعيد ابودراز
باحثة دكتوراة بقسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة دمنهور

أ.د/ إبراهيم محمد على مرجونة
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة دمنهور

أ.م د/ هنية بهنوس
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد
كلية التربية – جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الثالث و الستون - يوليه -الجزء الثانى - لسنة 2024

الدور السياسيى لأبي الحسن الشاذلي في مصر
(642هـ- 656هـ/1244 م-1258م)

أ.لبني محمود السعيد ابودراز
أ.د/ إبراهيم محمد على مرجونة
أ.م د/ هنية بهنوس

المقدمة

إن جهاد وكفاح الشيخ أبوالحسن الشاذلى فى معركة المنصورة لهو صورة رائعة للتصوف والواقع أن حياة الشيخ أبى الحسن الشاذلي تظهر وكأنها معول يهدم ما يبنيه أعداء التصوف من شبهات حوله أنهم كسالى وأن التصوف مظهر من مظاهر الضعف.

لقد كان للشيخ أبي الحسن دورا كبيرا في المعركة الفاصلة بالمنصورة سنة 648هـ في الحروب الصليبية السابعة على مصر كما وقف أتباعه وأنصاره موقفه ، ولم يمنعه كف بصره عن الاشتراك في المعركة حتى لقد كان من عادته منذ أقام بمصر أن يخرج للحج كل عام ولكنه آثر البقاء بمصر للاشتراك في الجهاد عن أداء الحج .

ومن صور الكفاح التى تميز بها أبو الحسن الشاذلى وعرف بها بين الناس هى صورة السعى فى قضاء مصالح الناس ولقد ظهر هذا جليا حينما طالب سلطان مصر الملك الكامل الأيوبى برفع الظلم عن القبائل فعرف مكانة الشيخ أبى الحسن ثم كتب إلى والى الأسكندرية أن يرد جميع ما أخذه منهم .

الدور السياسي لأبي الحسن الشاذلي في مصر

لقد قدمت مصر لأبي الحسن الشاذلى الدعم البشرى الكبير، والأرض التى انطلقت منها تأثيرات تلك الطريقة المميزة ، وهذا الإسهام المغربى فى ذلك العصر فى أحد جوانبه الفريدة ، اسهاما فى مجال التجارب الروحية التصوفية فى عصر احتاج أشد الإحتياج إلى إعادة البحث عن الذات من خلال محنة الإصطدام بين عالمى الإسلام والمسيحية ولم يكن

الإسهام المغربى قاصرا على ذلك بل إن الدور الجهادى العملى كان واضحا فى نصوص مصادر ذلك العصر[1].وسنذكر هذا الدور لأبي الحسن فى معركة المنصورة.

كان الشيخ أبو الحسن مغربى المنشأ مصرى الوفادة والوفاة[2].كان المصريون ينظرون إلى الوافدين على بلادهم من الأندلس وشمال إفريقية نظرة عطف وتقدير وكان السبب وراء ذلك أن المصريون يرون فى سكان الأندلس وشمال إفريقية ما يرونه المجاهدين فى سبيل الله لأنهم محاطين بالأعداء المغيرين الذين يتحينون الفرصة للإستيلاءعلى بلادهم،وكانت حال الديار المصرية فى العصور الوسطى على نفس ماكانت عليه بلاد المغرب والأندلس من التعرض للغزو والإجتياح لا سيما غارات الصلبيين والمغول ، ومما لاشك فيه أن المصريين بطبيعتهم مرهفى الحس فى الإعتقاد الدينى،وقد ساعدهم على ذلك أن الدين الإسلامى لا يعترف بحدود أو حواجز بين الأمم لذا وجدنا الترحيب بالوافدين أمثال الشيخ أبو الحسن الشاذلى وتلاميذه [3].

إن القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى وكذلك القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى قد شهد ما يمكن وصفه بالظاهرة الصوفية التى مثلت جانبا مهما من الإستجابة الإسلامية لتحدى المسيحية الكاثوليكية التى وصلت إلى درجة بالغة من التعصب ورفض الحوار مع الأديان الأخرى أو إمكانية التعايش السلمى معها وفى نفس الوقت اتجهت القيادة السياسية الواعية إلى دعم تلك الظاهرة من خلال تشييد الخنقاوات والزوايا من أجل إقامة الصوفية ونجد ذلك واضحا فى سياسة الناصر صلاح الدين الأيوبى (567-589هـ/ 1171- 1193م) لمواجهة الغزوالصليبي للمنطقة وعلى أى حال فإن أبوالحسن الشاذلى قد ارتبط زمنيا بالعصر الأيوبى فى مصر[4].

١-<u>أبوالحسن الشاذلى الصوفى المجاهد فى معركة المنصورة</u>

ومن جليل أعمال الصوفية وآثارهم الحسنة فى الأمة الإسلامية أن الملوك والأمراء متى قصدوا الجهاد كان مشايخهم يحرضون أتباعهم للمشاركة فى ردالعدوان وكان هؤلاء

([1]) محمد مؤنس أحمد عوض:**ملامح عصر أبى الحسن الشاذلى (ت.656هـ/ 1258م) وتياراته الصوفية بمصر**، فى أعمال الندوة الأولى،أبوالحسن الشاذلى وتراثه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان،المغرب،2002: 35- 48.، ص47.

([2]) حسن السندوبى:**أبوالعباس المرسى ومسجده الجامع بالأسكندرية**،دارالكتب المصرية،القاهرة،1944م، ص9.

([3]) حسن السندوبى : **أبوالعباس المرسى**، ص10، 12.

([4]) محمد مؤنس أحمد عوض: ملامح عصر أبى الحسن الشاذلى (ت.656هـ/ 1258م) وتياراته الصوفية بمصر ،ص40.

المريدون يسارعون بذلك لعظيم اعتقادهم وانقيادهم فيكون ذلك سببا للظفروالنصر،ففى مصر يسطر لنا الشيخ أبو الحسن الشاذلى(ت،656هـ/1258م) مثلا رائعا عن مقاومة الصوفية للغزاة فى معركة المنصورة سنة 647هـ وقد التف حوله اتباعه[5].

هؤلاء هم علماء الصوفية بسمتهم الملائكى وبإيمانهم الذى لا يتزعزع يسيرون وسط الجند يحثون ويشجعون ويرشدون ويذكرون بالله ويبشرون كما وعد الله بإحدى الحسنيين النصر أوالجنة وإذا لزم الأمر عملوا بأيديهم مع العالملين لقد كان مجرد سيرهم فى الحوارى والشوارع تذكيرا بالنصر أوالجنة كان حافزا للهمم وتثبيتا للإيمان وتأكيدا لصورة الجهاد الإسلامية التى قادها الرسول فى عصور الإسلام الأولى حتى إذا اطمأنوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة والمعنوية الباطنة وحتى إذا ماجن عليهم الليل اجتمع هؤلاء الأعلام فى خيمة من خيام المعسكر يتجهون إلى الله بصلاتهم ودعائهم يلتمسون منه النصر فإذا مافرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب[6].

لقد خرج لويس التاسع ملك فرنسا سنة1248م على رأس حملة صليبية تخرج من غرب أوربا بنية الإستيلاءعلى مصر،ولم تكن هذه أول حملة صليبية على مصر لقد سبقها بثلاثين سنة الحملة الصلبية الخامسة بقيادة حنا برين ولكن حملة لويس التاسع على مصر سنة 1249م كانت أعظم خطرا نظرا لكونها أكثر عدد وعدة وتنظيما ، فضلا عن أنه كان على رأسها ملك من أعظم ملوك الغرب الأوربى وأشدهم تدينا وتحمسا للفكرة الصليبية[7].

وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة لتسع بقين من صفرسنة 647هـ، وصلت مركب الفرنج البحرية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا[8]وانضم اليهم فرنج الساحل كله وسير ملك الفرنج إلى السلطان الصالح أيوب خطاب تهديد[9].

([5])طارق عبدالسلام لعجال:**التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي**،أحمد ذكى إبراهيم،جورنال التمدن ،كوالالمبور،ماليزيا ،عدد 7،2012م،ص175، 176.

([6]) عبدالحليم محمود: **قضية التصوف المدرسة الشاذلية**،دارالمعارف،القاهرة،ص57.

([7]) سعيد عبدالفتاح عاشور:**العصر المماليكى فى مصر والشام**،دار النهضة العربية،القاهرة،ط2،1976م ؛حسن السندوبى:**أبوالعباس المرسى** ،ص10،11.

([8]) رايد فرنس – يقال له الفرنسيس،واسمه لويس بن لويس ورايد فرنس لقب بلغة الفرنج،معناه ملك افرنس .– المقريزى:**السلوك لمعرفة دول الملوك**،الجزءالأول،القسم الثانى،صححه ووضع حواشيه:محمد مصطفى زيادة،دارالكتب والوثائق القومية،الإدارةالمركزيةللمراكزالعلمية،مركز تحقيق التراث،القاهرة، 1435هـ/2014م،ص333.

([9]) المقريزى:**السلوك**،الجزءالأول،القسم الثانى،ص335،336؛حسن السندوبى:**أبوالعباس المرسى**،ص10،11.

وفى يوم السبت نزل الفرنج فى البر الذى عساكر المسلمين فيه وناوشهم المسلمون الحرب وخلا البر الغربى للفرنج وسار فخرالدين بالعسكر إلى أشموم[10]واستولى الفرنج على دمياط ، وأمر السلطان بالرحيل إلى المنصورة وحمل فى حراقة حتى أنزل بقصر المنصورة على بحر النيل فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر وشرع العساكر فى تجديد الأبنية للسكنى بالمنصورة ونصبت بها الأسواق ، وأصلح السور الذى على البحر وستر بالستائر ، وقدمت الشوانى المصرية بالعدد الكامل والرجالة ، وجاءت الغزاة والرجال من عوام الناس الذين يريدون الجهاد من كل النواحى ووصلت عربان كثيرة وأخذوا فى الغارة على الفرنج[11].

وفى ثالث عشر رجب وصل إلى القاهرة سبعة واربعون أسيرا من الفرنج وأحد عشر فارسا ، وظفر المسلمون بعد أيام بمسطح للفرنج فى البحر فيه مقاتلة ، بالقرب من نستراوة[12] .

وفى ليلة الإثنين نصف شعبان توفى السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة647هـ وهويقاتل الصلبين قبل أن يتمكن من طرد الفرنسيين الذين استولوا على دمياط عام 647هـ، وكتمت زوجته شجرة الدر نبأ وفاته[13]وقام بتدبير الجيش كبار قواده من المماليك، بمشورة زوجته شجرالدر،التى كانت تديرأمورالمملكة،وشئون القتال باسم زوجها المتوفى ، ولايعلم أحد خبر وفاته،حتى وصل إلى مصر ابنه توران شاه الذى استدعته من

([10]) المقريزى:**السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزءالأول ،القسم الثانى، ص 335.

([11]) المقريزى:**السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزءالأول ،القسم الثانى، ص 337.

([12]) نستراوة: وتسمى أيضا نسترو، وكانت تطلق فى تلك العصور على بلدة البرلس الحالية ، وعلى بحيرة البرلس أيضاالمقريزى:**السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزءالأول ،القسم الثانى، ص 337، 339.

([13])الذهبى((الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى)،ت(748هـ):**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام حوادث ووفيات 641 –650هـ**،تحقيق:عمرعبدالسلام تدمرى ،دارالكتاب العربى، 1491هـ/1998م،ص389،358؛ابن كثير(لحافظ عمادالدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى)،ت(774هـ):**البدايةوالنهاية**،ج17،تحقيق:عبدالله عبدالمحسن التركى،مركزالبحوث والدراسات العربيةوالإسلامية ،دارهجر ،1419هـ/1998م،ص307،304؛ ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة،ج6، وزارة الثقافة والإرشاد القومى،دارالكتب،مصر ،ص364؛المقريزى:**السلوك لمعرفة دول الملوك**،الجزءالأول،القسم الثانى،ص339، 346؛السيدالبازالعرينى:**المماليك**،دارالنهضةالعربية ،بيروت، 1386هـ/1967م،ص45، 46.

حصن كيفا بديار بكر حيث قاد بنفسه قتال الصلبيين، ووصل الصليبيون إلى المنصورة [14].

وذكر الشيخ تاج الدين ابن عطاء السكندرى عن معركة المنصورة قال: "أخبرنى الشيخ العارف مكين الدين الأسمر قال:" حضرت المنصورة فى خيمة فيها الشيخ الهمام مفتى الأنام عزالدين بن عبدالسلام[15] ، والشيخ مجدالدين على بن وهب القشيري المدرس ، والشيخ محيي الدين بن سراقة ، والشيخ مجد الدين الأخميمي ، والشيخ أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنهم :ورسالة القشيري تقرأ عليهم، وهم يتكلمون ، والشيخ أبوالحسن صامت ، إلى أن فرغ كلامهم فقالوا: ياسيدى نريد أن نسمع منك، فقال: أنتم سادات الوقت وكبراؤه ، وقد تكلمتم. فقالوا : لابد أن نسمع منك .

قال : فسكت الشيخ ساعة ، ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة .

فقام الشيخ عزالدين بن عبدالسلام وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال: اسمعوا هذا الكلام القريب العهد من الله [16].

وكان الشيخ يقضى وقته كله بالمنصورة ولا تشغل باله إلا هذه الملمة التى توشك أن تنزل بمصر والإسلام هذه الحرب الطاحنة الدائرة رحاها بين عدوا وافدا من الخارج وجيش

([14])الحافظ الذهبى:تاريخ الإسلام،ص389،358؛ابن كثير:**البداية والنهاية**،ج17،ص307،304؛ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة ،ج6،ص364؛المقريزى:**السلوك** ،الجزءالأول،القسم الثانى، ص 339، 346؛محمود شاكر:**التاريخ الإسلامى العهد المملوكى**،المكتب الإسلامى، بيروت ، ط1421،5هـ/2000م،ص22؛السيدالبازالعِرينى:**المماليك**،دارالنهضةالعربية ،بيروت، 1386هـ/1967م،ص45، 46.

([15])إبراهيم حركات:مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م،ج3 ،التصوف،دارالرشادالحديثة،الدارالبيضاء ،ص142.

([16]) ابن عطاء الله السكندرى(أحمد بن عطاء الله السكندري)،ت(709هـ):**لطائف المنن**،تحقيق:عبدالحليم محمود،دارالمعارف،القاهرة،ط2015،4م،ص76،75؛داود بن ماخلا(داود بن عمر بن إبراهيم الباخلي الشاذلي)،ت(733هـ):**اللطيفة المرضية بشرح دعاء الشاذلية**،**تحيقيق:محمدعبدالقادرنصار**،**دارالإحسان**،**القاهرة**،**مصر**،**2015م** ،ص77، 78، 79؛على سالم عمار: **أبوالحسن الشاذلى عصره تاريخه علومه تصوفه**،ج1،تقديم:علي جمعة،دارالوابل الصيب،القاهرة،2019م، 103،102؛عبدالحليم محمود: **قضية التصوف المدرسة الشاذلية**،ص17؛جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية فى العصر الإسلامى**،مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،1421هـ/2001م ص183.

مجاهد باسل يدافع عن الوطن والإسلام حتى أتاه الرسول صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا وبشره بالنصر [17].

قال الشيخ أبوالحسن:كنت بالمنصورة فلما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة بت مشغولا بأمر المسلمين وبأمر الثغر أعنى الأسكندرية خصوصا وقد كنت أدعوا وأتضرع إلى الله فى أمر السلطان والمسلمين ، فلما كانت آخر الليل رأيت في رؤيا المنام فسطاطا واسع الأرجاء عاليا فى السماء يعلوه نور وتزدحم عليه خلق من أهل السماء ، وأهل الأرض عنه مشغولون ،فقلت :لمن هذا الفسطاط ؟ فقالوا :لرسول الله . فبادرت إليه بالفرح ، ولقيت على بابه جماعة من العلماء والصالحين نحوا من السبعين ، أعرف منهم الفقيه عزالدين بن عبدالسلام والفقيه مجد الدين مدرس قوص والفقيه الكمال بن القاضى صدرالدين والفقيه المحدث محي الدين بن سراقة ، والفقيه الحكيم بن الحوافر ومعهم رجلان لم أعرف أجمل منهما ، غير أنى وقع على ظن فى حالة الرؤيا أنهما :الفقيه زكى الدين عبدالعظيم (المنذرى المحدث) والشيخ مجدالدين الإخميمى ، وأردت أن أتقدم لرسول الله ، فألزمت نفسى التواضع والأدب مع الفقيه ابن عبدالسلام ، وقلت لايصلح لك التقدم قبل عالم الأمة فى هذا الزمان، فلما تقدم وتقدم الجميع ورسول الله يشير إليهم يمينا وشمالا : أن اجلسوا ، تقدمت وأنا أبكى بالهم وبالفرح ، أما الفرح فمن أجل قربى لرسول الله بالنسب ، وأما الهم فمن أجل المسلمين والثغر وهم طلبى[18] إليه ، فمد يده حتى قبض على يدى وقال لاتهتم كل هذا الهم من أجل الثغر . وعليك بالنصيحة لرأس الأمر .يعنى السلطان .فإن ولى عليهم ظالم فما عسى ، وجمع أصابع يده الخمس فى يده اليسرى كأنه يقلل المدة ، وإن ولى عليهم تقى فالله ولى المتقين ، وبسط يده اليمنى واليسرى.

وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون – أى العلماء والفقهاء والصالحون الذين بالمجلس وقال صلى الله عليه وسلم :"**وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**"[19] وأمالسلطان ، فيد الله مبسوطة عليه برحمته ، وما وإلى أهل ولايته ونصح المؤمنين من عباده ، فانصحه واكتب له .وقل فى الظالم عدو الله قولا بليغا

([17]) جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية**،ص183.

([18]) ذكرت بنص "وحن طبعى " ._ابن الصباغ(الشيخ الحميري المعروف بابن الصباغ)،ت(ألفه 716هـ):**درة الأسـراروتحفة الأبرارفـي أقـوال** وأحـوال ومقامـات ونسـب وكرامـات وأذكـار ودعـوات سـيدي أبوالحسـن الشاذلي،مكتبة الفجر الجديد،القاهرة،2010م ،ص117.

([19]) سورة المائدة:الآية(56).

"**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**"[20] فقلت نصرنا ورب الكعبة ؟ وانتبهت أى من نومى [21] فكان أبوالحسن دائما فى قلب المعركة وفى ميدان الحرب مع الجيش والجند عاملا ومشجعا[22].ونصر الله المصريون على الفرنسيين الفرنجة سنة648هـ[23] وأسر ملكهم لويس التاسع ثم رحلوا جميعا عن مصر[24] وأشاد الشعراء بهذا النصر، ومن قصيدة مشهورة لابن مطروح نقتطف منها مايلى ؛قال يخاطب الملك لويس

- وكل أصحابك أودعتهم بحسن تدبيرك بطن الضريح
- سبعون ألفا لا يرى منهم إلا قتيل أو أسير جريح
- وقل لهم إن أزمعموا عودة لأخذ ثأر أولفعل قبيح
- دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح[25].

ويذكر على سالم عمار تحليل لرؤية الشيخ أبى الحسن حيث قال:هذه الرواية وهذه الرؤيا تصور لنا فى جلاء وصراحة ووضوح ما كان يجيش بنفس الشيخ أبى الحسن من أمور عدة منها انشغال باله بأمر المسلمين وأمر الجهاد واستقلال البلاد وهزيمة العدو ونصر الوطن ومنها التبرم بالسلطان المستهتر ووجوب النصيحة له بالقول والكتابة،ومنها احترام علماء الدين ،وتقديمهم على أهل الحقيقة الذين يتمثلهم فى ذات نفسه حتى فى رؤيا

([20]) سورة الروم:الآية(60).

([21])ابن الصباغ:**درةالأسرار**،ص117،116؛على سالم عمار:**أبوالحسن الشاذلى عصره–تاريخه**،ص103، 104؛سعيد أبوالأسعاد:**نسق الخطاب على تحفة الأحباب هذا الشاذلى أبوالحسن جوهرة الأحباب**،ج2،شركة الفتح للطباعة والنشر ،2016م،ص222،221، 223؛عبدالحليم محمود:**قضيةالتصوف المدرسة الشاذلية**،ص59؛جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية**،ص185.

([22]) محمد الشريف:**تيار التصوف فى العصر الموحدى من خلال قطعة من كتاب " المستفاد فى مناقب العباد " لأبى عبدالله محمد التميمى، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر فى المغرب والأندلس الروافد والمعطيات** ،جامعة عبدالملك السعدى،كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان،منشورات الكلية،1993م،ص464؛مأمون غريب:**ابوالحسن الشاذلى حياته تصوفه تلاميذه وأوراده**،دارغريب،القاهرة،2000م،ص9.

([23]) المقريزى:**السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزءالأول،القسم الثانى،ص339؛السيدالبازالعرينى:**المماليك**،ص46،45؛ابن تغرى بردى:**النجوم الزاهرة**،ج6،ص366.

([24])جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية**،ص187؛أحمد بن عامر:**الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد**،دارالكتب الشرقية، تونس،1392هـ/1972م،ص157.

([25]) ابن تغرى بردى:**النجوم الزاهرة**،ج6،ص366، 370؛عبدالحليم محمود:**قضيةالتصوف**؛سعيد أبوالأسعاد:**نسق الخطاب على تحفة الأحباب**، ص224،223؛ أحمد بن عامر:**الدولة الحفصية**،ص157.

المنام[26].ونلاحظ قلق الشاذلى بأمر ثغر الأسكندرية أيضا التى هى من أهم ثغور مصر والتى فيها منزله وعائلته التى خاف عليها أثناء الحرب وكان الشيخ أبوالحسن الشاذلى أشد الناس فرحا بهزيمة الصلبيين ورحيلهم عن مصر،وقد عاد بعدها إلى الأسكندرية وتابع فيها سيرته الأولى يدرس ويعظ تابعيه ومريديه بالتهذيب[27] .

إن جهاد وكفاح الشيخ أبوالحسن الشاذلى فى معركة المنصورة لهو صورة رائعة للتصوف والواقع أن حياة الشيخ أبى الحسن تظهر وكأنها معول يهدم ما يبنيه أعداء التصوف من شبهات حوله أنهم كسالى وأن التصوف مظهر من مظاهر الضعف[28].هذه الصورة نضعها أمام أنظار علماء المسلمين ورجال التصوف الإسلامى لعل فيها ذكرى كريمة ومثلا يحتذى ! [29].

لقد جاهد أبو الحسن الشاذلى فى موقعة المنصورة بين المسلمين والفرنجة بزعامة لويس التاسع ملك فرنسا ورغم أن الشاذلى كان مسنا قد كف بصره لكن أبا الحسن لم يتخلف عن فرض، بل كان فى مقدمة المجاهدين يحث الجنود على الجهاد وما كان يأتى له أن يتخلف عن مؤازرة المسلمين وهو القائل: من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت[30] وهو يعلم ذلك من قوله تعالى:"قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين "[31] فالولى على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه [32].

عن ليث، عن عطاء، عن جابر رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم غزاة، فقال صلى الله عليه وسلم " قدمتم خير مقدم من جهاد الأصغر إلى جهاد

([26]) **أبوالحسن الشاذلى عصره تاريخه**،ص105.

([27]) جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية** ،ص187.

([28])عبدالحليم محمود:**قضية التصوف المدرسة الشاذلية**،ص54.

([29]) سعيد أبوالأسعاد:**نسق الخطاب على تحفة الأحباب**، ص224.

([30])عبدالمنعم الحفنى:**الموسوعةالصوفيةأعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية**،دارالرشاد،القاهرة،ط1412،1ه/1992م، ص230؛ سعيد أبوالأسعاد:**نسق الخطاب على تحفة الأحباب**، ص224.

([31]) سورة الجمعة:الآية(6).

([32]) سعيد أبوالأسعاد:**نسق الخطاب على تحفة الأحباب**، ص224.

الأكبر، قيل: وما جهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه "[33] فكان هذا هو المسار الفعال للفعل السياسى والتحقق الصوفى للشاذلى لقد جمع أبى الحسن الشاذلى بين نوعين من الجهاد اللذين وردا فى الحديث الشريف

٢ –تقرب الشاذلي من الحكام لقضاء مصالح الناس

ثم إن تعامل الشاذلي مع السلطة وقبوله ما حبسه عليه السلطان المصري من مُرَكَّب سكني ديني كان بدون شك أمرا محسوبا من الجانبين هناك تيار شعبي كاسح نحو الصلحاء والصوفية ولابد من أخذه بعين الإعتبار وسياسة تودد السلطة لهؤلاء خير من ملاحقتهم ماداموا غير منشغلين بزحزحتها أما بالنسبة للشاذلي فقد أصبح بمصر رب أسرة كبيرة وله أصهار من أهلها كما أن التعامل في حدود الخير مع شخصيات الدولة يقربهم إلى الطريقة وهو ماحصل في كل من تونس ومصر فأخو العاهل الحفصي وحاجبه بتونس ، وعدد كبير من حيثيات مصر كانوا في عداد المتعاطفين مع الشيخ أو الآخذين بطريقته وقد زاد من شعبية الشاذلي أنه كان يسعى في قضاء مصالح الذين يقصدونه وذلك في غياب قوانين تحمي حقوق الناس في حياتهم اليومية وتعاملهم في الإدارة والمصالح الدنيوية .[34]

ومن صور الكفاح التى تميز بها أبو الحسن الشاذلى وعرف بها بين الناس هى صورة السعى فى قضاء مصالح الناس ولقد ظهر هذا حينما نزل مصر فى مروره العابر إلى الحج وطالب سلطان مصر الملك الكامل الأيوبى برفع الظلم عن القبائل برفع الرمية التى رمى بها على القبائل[35] فكان الملك الكامل رجلا عالما مثقفا واسع الفكر فعرف مكانة الشيخ أبى الحسن ثم كتب إلى والى الأسكندرية أن يرفع الطلب عن القبائل ويرد جميع ما أخذه منهم [36].وسبق أن أشرنا إليه قبل

([33])هذا اسناد ضعيف.–البيهقى(الإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى)،ت(458هـ):**الزهد الكبير**،حققه وخرج أحاديثه:عامرأحمدحيدر،دارالجنان،مؤسسةالكتب الثقافية،لبنان،بيروت،حديث رقم(373)،1408هـ/1987م،ص165.

([34]) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم،ج3،ص142.

([35])ابن الصباغ: **درة الأسرار**، ص28؛عبدالحليم محمود:**المدرسة الشاذليةالحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلى**،دار النصر للطباعة، القاهرة،ص75؛ جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية**،ص174؛على سالم عمار: **أبوالحسن الشاذلى عصره تاريخه** ،ج1، ص129؛ عبدالحليم محمود : **قضية التصوف المدرسة الشاذلية** ، ص37.

([36]) ابن الصباغ:**درة الأسرار**،ص28؛عبدالحليم محمود:**قضية التصوف المدرسة الشاذلية**،ص38؛أحمدأبوكف:**أعلام التصوف الإسلامى**،مؤسسة دارالتعاون للنشر

ومن صور سعى الشاذلى فى مصالح العباد أن استشفع طالب بالشيخ أبى الحسن إلى القاضى تاج الدين بن بنت الأعز أن يزداد على مرتبه عشرة دراهم فذهب الشيخ إليه فأكبر القاضى تاج الدين مجيئه وقال له :يا سيدى فيم جئت؟ فقال: من أجل فلان الطالب لنزيده فى مرتبه عشرة دراهم .

فقال له القاضى تاج الدين : يا سيدى، هذا له فى المكان الفلانى كذا ،وفى المكان الفلانى كذا وفى موضع كذا وكذا.فقال له الشيخ: يا تاج الدين لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده إياها فإنى الله تعالى لم يقنع للمؤمن بالجنة جزاء حتى زاده النظر إلى وجهه الكريم [37].

وكثرت شفاعات أبى الحسن بكثرة المظلومين والمساكين والذين لا جاه له والضعفاء وذوى الحاجات على مختلف ألوانهم ، وأخذ يتردد على ولاة الأمور شافعا ومدافعا ومحاميا حتى قال ابن دقيق العيد فى ذلك:جهل ولاة الأمور بقدر الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه لكثرة تردده فى الشفاعات.أما ابن عطاءالله فقد قال فى ذلك معلقا على كلمة ابن دقيق العيد:إن هذا الأمر لا يقوى عليه إلا عبد متخلق بأخلاق الله ، بذل نفسه وأذلها [38].

كانت مجاهدة الشاذلى منذ كان يافعا شابا غضا ثم تولى الإرشاد قبل بلوغه الثلاثين من عمره وعاد فى أخريات حياته إلى الإجتماع بالناس ومعاشرة الحكام وملاقاة الملوك فضلا عن الخاصة من العلماء وعامة الشعب،فغير من منهج الرياضة الشاقة ويسر على المريدين الحال على عكس الغزالى الذى عكف على دراسة الاجتماع والسياسة فى بداية حياته ثم تخلى عن ذلك كله وعكف على ممارسة التصوف ومعالجة شئون المريدين فى شيخوخته إلى أن توفاه الله[39].

الخاتمة

–من جليل أعمال الصوفية وآثارهم الحسنة فى الأمة الإسلامية أن الملوك والأمراء متى قصدوا الجهاد كان مشايخهم يحرضون أتباعهم للمشاركة فى ردالعدوان وكان

والتوزيع،القاهرة،2002م،ص49،48؛مأمون غريب:**أبوالحسن الشاذلى حياته تصوفه**،ص20؛جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية فى العصر الإسلامى**،ص174؛على سالم عمار:**أبوالحسن الشاذلى عصره تاريخه**،ج1، ص129.

([37]) ابن عطاء الله السكندرى:**لطائف المنن** ،ص86؛عبدالحليم محمود:**المدرسة الشاذليةالحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلى** ،دار النصر للطباعة،القاهرة،ص75، 76.

([38]) عبدالحليم محمود:**المدرسة الشاذليةالحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلى**،ص75، 76.

([39]) على سالم عمار : **أبوالحسن الشاذلى عصره تاريخه** ،ج1، ص112،111.

هؤلاء المريدون يسارعون بذلك لعظيم اعتقادهم وانقيادهم فيكون ذلك سببا للظفروالنصر.

-لقد جاهد أبو الحسن الشاذلى فى موقعة المنصورة بين المسلمين والفرنجة بزعامة لويس التاسع ملك فرنسا ورغم أن الشاذلى كان مسنا قد كف بصره لكن أبا الحسن لم يتخلف عن فرض، بل كان فى مقدمة المجاهدين يحث الجنود على الجهاد وما كان يأتى له أن يتخلف عن مؤازرة المسلمين وهو القائل: من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت.

-ومن صور الكفاح التى تميز بها أبو الحسن الشاذلى وعرف بها بين الناس هى صورة السعى فى قضاء مصالح الناس ولقد ظهر هذا حينما نزل مصر.

قائمة المصادر والمراجع

أولا:القرآن الكريم،الحديث الشريف.

ثانيا:المصادرالعربية:

١.-البيهقى(الإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى)،ت(458هـ):**الزهد الكبير**،حققه وخرج أحاديثه:عامرأحمدحيدر،دارالجنان،مؤسسةالكتب الثقافية،لبنان،بيروت،حديث رقم(373)،1408هـ/1987م

٢.2-الذهبي(الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى)،ت(748هـ):**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهيروالأعلام:تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام حوادث ووفيات 641 -650هـ**،تحقيق:عمرعبدالسلام تدمرى ،دارالكتاب العربى، 1491هـ/1998م.

٣.ابن الصباغ(الشيخ الحميري المعروف بابن الصباغ)،ت(ألفه 716هـ):**درة الأسراروتحفة الأبرارفي أقوال** وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبوالحسن الشاذلي ، ،مكتبة الفجر الجديد،القاهرة،2010م.

١.ابن كثير(لحافظ عمادالدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى)،ت(774هـ):**البدايةوالنهاية**،ج17،تحقيق:عبدالله عبدالمحسن التركى،مركزالبحوث والدراسات العربيةوالإسلامية ،دارهجر،1419هـ/1998م

٢.ابن تغرى بردى(جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي)،ت(874هـ):النجوم الزاهرة فى ملوك مصروالقاهرة،ج6،وزارةالثقافةوالإرشاد القومى،دارالكتب،مصر،ص364؛المقريزى:**السلوك لمعرفة دول الملوك**،الجزءالأول،القسم الثانى.

٣.داود بن ماخلا(داود بن عمر بن إبراهيم الباخلي الشاذلي)،ت(733هـ):**اللطيفة المرضية بشرح دعاء الشاذلية،تحيقيق:محمدعبدالقادرنصار،دارالإحسان،القاهرة،مصر، 2015م.**

٤.ابن عطاء الله السكندرى(أحمد بن عطاء الله السكندري)،ت(709هـ):**لطائف المنن**،تحقيق:عبدالحليم محمود،دارالمعارف،القاهرة،ط2015،4م.

٥.المقريزى(تقي الدين أحمد بن علي المقريزى)،ت(845هـ):**السلوك لمعرفة دول الملوك**،الجزءالأول،القسم الثانى،صححه ووضع حواشيه:محمد مصطفى زيادة،دارالكتب والوثائق القومية،الإدارةالمركزيةللمراكزالعلمية،مركز تحقيق التراث،القاهرة، 1435هـ/2014م.

٦.ثالثا:المراجع العربية10- أحمدأبوكف:**أعلام التصوف الإسلامى**،مؤسسة دارالتعاون للنشر والتوزيع،القاهرة،2002م.

٧.أحمد بن عامر:**الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد**،دارالكتب الشرقية، تونس،1392هـ/1972م،ص157.

٨.إبراهيم حركات:مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م،ج3 ،التصوف،دارالرشادالحديثة،الدارالبيضاء.

٩.جمال الدين الشيال:**أعلام اسكندرية فى العصر الإسلامى**،مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،1421هـ/2001م.

١٠.حسن السندوبى:**أبوالعباس المرسى ومسجده الجامع بالأسكندرية**،دارالكتب المصرية،القاهرة،1944م.

١١.سعيد أبوالأسعاد:**نسق الخطاب على تحفة الأحباب هذا الشاذلى أبوالحسن جوهرة الأحباب**،ج2،شركة الفتح للطباعة والنشر،2016.

١٢.سعيد عبدالفتاح عاشور:**العصر المماليكى فى مصر والشام**،دار النهضة العربية،القاهرة،ط1976،2م.

١٣.السيدالبازالعِرينى:**المماليك**،دارالنهضةالعربية ،بيروت، 1386هـ/1967م .

١٤.طارق عبدالسلام لعجال:**التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي**،أحمد ذكى إبراهيم،جورنال التمدن ،كوالالمبور،ماليزيا ،عدد 2012،7م.

١٥.عبدالحليم محمود:**المدرسةالشاذليةالحديثةوإمامها أبو الحسن الشاذلى** ،دار النصر للطباعة،القاهرة.

١٦._____: **قضية التصوف المدرسة الشاذلية**،دارالمعارف،القاهرة.

١٧.على سالم عمار: **أبوالحسن الشاذلى عصره تاريخه علومه تصوفه**،ج1،تقديم:علي جمعة،دارالوابل الصيب،القاهرة،2019م.

١٨.عبدالمنعم الحفنى:**الموسوعةالصوفيةأعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية**،دارالرشاد،القاهرة،ط 1412،1هـ/1992م

١٩.مأمون غريب:**ابوالحسن الشاذلى حياته تصوفه تلاميذه وأوراده**،دارغريب،القاهرة،2000م.

٢٠.محمد الشريف:**تيار التصوف فى العصر الموحدى من خلال قطعة من كتاب " المستفاد فى مناقب العباد " لأبى عبدالله محمد التميمى، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر فى المغرب والأندلس الروافد والمعطيات** ،جامعة عبدالملك السعدى،كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان،منشورات الكلية،1993م.

٢١.محمد مؤنس أحمد عوض:**ملامح عصر أبى الحسن الشاذلى (ت.656هـ/ 1258م) وتياراته الصوفية بمصر**، فى أعمال الندوة الأولى،أبوالحسن الشاذلى وتراثه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان،المغرب،2002.

٢٢.محمودشاكر:**التاريخ الإسلامى العهد المملوكى**،المكتب الإسلامى، بيروت ، ط1421،5هـ/2000م.